الأشكال الجمالية الوجيزة والتحولات المعرفية المعاصرة

خيال جديد لعالم معرفى جديد

Brief Aesthetic Forms and Contemporary Cognitive Transformations
A New Imagination for a New Cognitive World

إعداد

أ.د/ أيمن تعيلب

Prof.Ayman Taaleb

أستاذ النقد الأدبى بجامعة السويس

Doi: 10.21608/mdad.2024.371653

استلام البحث	**٢٠٢٤/٤/٢٥**
قبول النشر	**٢٠٢٤/٥/٢١**

تعيلب، أيمن (٢٠٢٤). الأشكال الجمالية الوجيزة والتحولات المعرفية المعاصرة- خيال جديد لعالم معرفى جديد. ***المجلة العربية مـــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٦)، ١ - ٢٢ .

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

الأشكال الجمالية الوجيزة والتحولات المعرفية المعاصرة
خيال جديد لعالم معرفى جديد

المستخلص:

نعيش عصرا معرفيا جديدا انهدمت فيه الحدود بين التصورات والثقافات، فالتخصص العلمى اليوم ليس حدا معرفيا حاسما بقدر ما هو هجرة إلى عوالم معرفية بينية تعددية متباينة متحركة متصلة،تجمع بين النسق واللانسق،الموضوعى واللاموضوعى،المنظم والفوضوى،فى لحظة معرفية واحدة،حيث تتداخل إرادة المعرفة بإرادة الحياة.

وبناء على هذا الوعى المعرفى الجديد تغيرت مفاهيم اللغة والواقع والخيال والمادة،ولم يعد فى مكنة الإنسان سوى اللياذ بملكوت اللغة بيته ووجوده يحامى بها عن ذاته وعن وجوده ضد كل أشكال التشيؤ والاهتراء والتآكل والتلاشى والسقوط . ولعل كل ذلك قد زج بالإنسان واللغة والتاريخ والشعر إلى صور وتصورات معرفية وتاريخية وفلسفية وجمالية جديدة،وصارت حاجة الفنون كلها إلى تجديد حدها ورسمها ضرورة وجودية قبل أن تكون ضرورة جمالية.

وتعنى هذه الدراسة بالأشكال الجمالية الوجيزة، التي تقع ضمن الشكل الجمالى البينى الكثيف وتمثل بناء تشكيليا يختلف كل الاختلاف عن الأشكال الجمالية السائدة بيننا الآن فى فنون القصة والرواية والمسرح والشعر، الأمر الذي تسعى الدراسة لتبين ملامحه.

الكلمات المفتاحية: الوعي الجمالي – الأشكال الوجيزة – التجريب الإبداعي – الخيالات البينية.

Abstract:

We live in a new cognitive era in which the boundaries between concepts and cultures have collapsed. Scientific specialization today is not a decisive cognitive boundary as much as it is a migration to diverse,dynamic, interconnected, and interdisciplinary cognitive worlds that combine the systematic and the non-systematic, the objective and the non-objective, the organized and the chaotic, in a single cognitive moment, where the will to know overlaps with the will to live.

Based on this new cognitive awareness, the concepts of language, reality, imagination, and matter have changed, and man

ISSN : *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

has no choice but to seek refuge in the kingdom of language, his home and his existence, with which he can defend himself and his existence against all forms of reification, decay, erosion, fading, and downfall. Perhaps all of this has thrown man, language, history, and poetry into new cognitive, historical, philosophical, and aesthetic images and concepts, and the need for all arts to renew their boundaries and draw them has become an existential necessity before it is an aesthetic necessity.

This study is concerned with the brief aesthetic forms, which fall within the dense intermediate aesthetic form and represent a formative structure that is completely different from the aesthetic forms prevalent among us now in the arts of story, novel, theatre and poetry, which the study seeks to clarify its features.

Keywords: Aesthetic awareness – concise forms – creative experimentation – interstitial imaginations.

. . .

مقدمة :

نحن نعيش عصرا معرفيا جديدا لايعد امتدادا لما سبقه من عصور بل يعد ابتداءً معرفيًا جذريًا،عصرا مركبا معقدا متداخلا انهدمت فيه الحدود بين المعارف والعلوم والتصورات والثقافات وصرنا نعيش آليات معرفية وفلسفية وجمالية جديدة على مستوى الوعى والإدراك والممارسة،فعالم البيئة مثلا اليوم: لم يعد يكفيه فى فهم تخصصه أن يعكف على علوم البيئة فقط،بل لابد له أن يتجاوز حدود النظام التخصصى الواحد إلى تعددية التخصصات العلمية الأخرى التى تجاوره من قريب أو بعيد تتصادى معه أو تتداخل،فإذا أراد أن يعى بحق اختلالات الأنظمة البيئية واضطراباتها فعليه أن يقف بدقة على علوم الحيوان والنبات والأحياء والفيزياء دفعة واحدة،لقد تغيرت فكرة التخصص العلمى المعاصر بصورة جذرية عن مفهوم التخصص الكلاسيكى،فالتخصص العلمى اليوم ليس حدا معرفيا حاسما بقدر ما هو هجرة علمية مستمرة بين الحدود لا فكرة مركبة مستقرة، هجرة إلى عوالم معرفية بينية تعددية متباينة متحركة متصلة،تجمع بين النسق واللانسق،الموضوعى واللاموضوعى،المنظم والفوضوى،فى لحظة معرفية واحدة،حيث تتداخل إرادة المعرفة بإرادة الحياة،وبذلك صار مفهوم الحد العلمى مفهوما

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*

متشعبا ومتناميا من جهة، ومتداخلا بين كل ألوان المعرفة والوعى من جهة أخرى، ومترامیا مع مستجدات الحياة والواقع من جهة أخيرة.

وبناء على هذا الوعى المعرفى الجديد تغيرت مفاهيم كثيرة: الذات والمجتمع والواقع والجماعة والبيئة والبطولة والخلود والحياة والموت،وصار الإنسان يعيش فى قلق وارتياب وحذر وخطر ودوامية تكنولوجية رقمية سريعة لاهثة، لم يعد البطل اليوم هو الإنسان بل صار البطل الرمز والوسائط والآلة فتغيرت تبعا لذلك مفاهيم الزمان والمكان والكون بعد غياب المعنى التقليدى للتاريخ والجغرافيا، كما تغيرت مفاهيم اللغة والواقع والخيال والمادة،ولم يعد فى مكنة الإنسان المهجور والمهدور والمقهور سوى اللياذ بملكوت اللغة بيته ووجوده يحامى بها عن ذاته وعن وجوده ضد كل أشكال التشيؤ والاهتراء والتآكل والتلاشى والسقوط فى سوق الاستهلاك اليومى المكرور. ولعل كل ذلك قد زج بالإنسان واللغة والتاريخ والشعر إلى صور وتصورات معرفية وتاريخية وفلسفية وجمالية جديدة،وصارت حاجة الفنون كلها إلى تجديد حدها ورسمها ضرورة وجودية قبل أن تكون ضرورة جمالية.

- **الأشكال الجمالية الوجيزة والوعى الجمالى المنظومى :**

لقد انتفت فكرة الأحادية والثنائية المنهجية سواء فى بنية العلوم التطبيقية التجريبية أو بنية النصوص أو بنية الأفكار النقدية التى تعالج النصوص،وحلت محلها فكرة التحليل المنظومى (SYSTEMS ANALYSIS) التى تقوم على مفهوم التفكير الشبكى المنظومى البينى التعددى القائم على فكرة العلاقات المتشابكات المتداخلات،لا التفكير الجزئى القائم على البنية المغلقة والاستقلال والانعزال،وشتان بين منهجية التفكير الشبكى الدينامى البينى،ومنهجية التفكير البنائى الأحادى ،فالتفكير الجمالى والنقدى الشبكى الذى ندعو إليه هنا قائم على فكرة الكل البينى الدينامى الحيوى،لا فكرة العنصر الجزئى المنعزل المستقل،وفى التفكير الشبكى المنظومى systematic يتخذ الجزئى قيمته من الكل الدينامى الحيوى وليس العكس،كما نجد منظومة التفكير تتجاوز فكرتى: الصحة والخطأ الغليظتين الحادتين إلى قوة الحقيقة الاستشرافية التشعبية الحية الملتحمة بهموم الواقع والمستقبل معا،كما أن منظومة التفكير الشبكى البينى تسلم بمنطق الحركة المتعددة المتحركة فلا تقنع بمجرد فكرة البنية الحدية المستقرة،فحركة الشىء هى الموجه والمنطلق وليس مجرد بنيته القارة، وتركيبه الجزئى المنعزل،إذ دائما ما يكسر الواقع هذه

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

البنية الحدية ويغيرها على الدوام،فعلى حين يتخذ الفكر الخطى الأحادى المنعزل من فكرة الحد مستقرا وهدفا،يتخذ الفكر الشبكى المنظومى من الفكر البينى التداخلى الدينامى هدفا حيويا جدليا مفتوحا،يقوم على شبكة متعددة متسعة من العلاقات التخييلية البينية،فاتحا الآفاق على إمكان الواقع والحلم والخيال،حيث الظاهرة أيا كان لونها ومقصدها، جمالية- معرفية ـ ثقافية- أيديولوجية - تاريخية،مما يقع فى المجال الإنشائى التخييلى الواسع المترامي لا الحيز الخبري الواقعى الضيق،فمنهجية المجالات الجمالية المعرفية البينية تقوم على التفاعل والتعدد والتداخل الدينامى المترامى الفعال فى علاقتها الكلية الشذرية التشعبية بكل أشكال الجمال فى هذه الحياة،فالمعرفة هنا معرفة تعددية مترامية مفتوحة على مطلق تداخل الأشكال دفعة واحدة حيث النص يحض فى كل توجهاته على الربط بين وجوه كثيرة من وجوه الحقائق الجمالية والإنسانية والوجودية والقيمية اللامتناهية،ومن هنا كان الفن الحقيقى الحى قطعة من روح الحياة نفسها تتأبى على كل تفسير أوتأطير أوتصنيف، قطعة تجمع بين الراهنى والتجريبى والمستقبلى دفعة واحدة مما يدفع بالوعى الجمالى والنقدى إلى أقاصيه المعرفية والتخييلية البعيدة.(١).

إن الأشكال الجمالية الوجيزة تقع ضمن الشكل الجمالى البينى الكثيف وهو بناء تشكيلى يختلف كل الاختلاف عن الأشكال الجمالية السائدة بيننا الآن فى فنون القصة والرواية والمسرح والشعر،إن فلسفة التعدد والتداخل والتصادى هى الفيصل التشكيلى الآن، ويظل الفارق الجمالى البنائى هائلا بين أن نرى الجديد فى حيثيته الجمالية الراهنية المعقدة،وبين أن نراه كما لو كان فعلا جماليا سائدا، وكأننا نطور الشعر واللغة والتاريخ بأثر رجعى، والحقيقة أن الحاضر لاينبع من الماضى بل الماضى هو الذى ينبع من الحاضر والمستقبل معا.إن الإحساس الفعلى بشروط اللحظة الجمالية والمعرفية المعاصرة والقدرة على التشكيل الجمالى لها الذى هو أشكل بالدهر، وألصق بروح العصر، كان خافتا باهتا فى معظم حركة الشعر العربى، ولم يسلم العقل النقدى العربى بعد بفكرة الأزمنة الجمالية المتعددة، ولا بفكرة الشعريات الجمالية المتباينة، ولابفكرة الحراك الجمالى المعرفى التعددى الكثيف الذى لاينى فيه الهدم والبناء فى آن، وما يتولد عن ذلك من حساسيات فنية متعددة متداخلة.

ولعل هذا يؤكد لنا باستمرار أن الواقع الجمالى اليومى التجريبي لا يمكننا السيطرة

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

على جميع وجوهه وأبعاده بصورة مطلقة، أو حتى بصورة مسبقة داخل حدود نظرياتنا، لأنه من المستحيل – فيما نرى – أن يحرك وعي الدقيقة الجمالية المسبقة مهما كان موضوعيا دقيقا الوعي العلمي الكامن في اللحظة الجمالية اللاحقة، أو حتى سبر وفض أغوارها الجمالية والمعرفية المتعددة المتشابكة، أو حتى التنبؤ بتقلباتها التشكيلية الآنية أو المستقبلية، فقط يفيد المنهج النقدى العلمي كإطار فكري جمالى مسبق ومحكم وجاهز – يفيد فقط في توجيه اللحظة الجمالية الحاضرة كإطار مستقل تماما عن بزاخة اللحظة الجمالية والمعرفية الراهنة فى ذاتها ولذاتها، فالواقع فى ذاته ولذاته أكبر من الماضي وإن تفرع عليه، وأوسع من الحاضر نفسه ولو حضر فيه، وأكبر من عقولنا وأفكارنا وموضوعيتنا وإن تصورته بصورة من الصور، وأوسع من كل طرائق مناهجنا في الإدراك، وأعمق من تصوراتنا في التخييل وإن اشتغلت عليه. وهذا يؤكد أن فكرة حضور الواقع غير فكرة وجود الواقع، فليس كل موجود حاضرا وليس كل حاضر نسلم له أن يكون موجودا بالضرورة؛ حضور المعنى هى إمكان حضور المعنى، وليس استنضاب واستنفاد كل أشكال حضوره بالفعل.

ولعل هذا يدعونا نقادا وكتابا وقراء إلى إصاخة الوعى الجمالى للكتابات الإبداعية الجديدة- أيا كان شكلها ومقاصدها- حتى نتمكن من الوعى الحى التجريبى بالحركة المتقطعة الباذخة لحركية الزمن نفسه، أو قل وعى الزمن بوصفه نشاطا وجوديا أصيلا لا نسقا ثقافيا صارما مقفلا!! الزمن التشكيلى هنا هو فكرة النشاط الوجودى والإنسانى الذى لا يقر له قرار، حيث يغدو الزمن الجمالى نشاطا لا نسقا، طلاقة لا تمنهجا، مفهوما وجوديا تجريبيا متدفقا لا نستطيع – بل ليس في مكنتنا أصلا – أن نراه ماضيا منفصلا عن حاضر، أو حاضرا منفصلا عن ماض أو مستقبل، الزمن هنا يرهف ثم يرهف حتى نخاع الفيمتو ثانية فى العصر الرقمى الكثيف المعقد فنرى حاضر الماضى وحاضر الحاضر وحاضر المستقبل فى تدفق تشيكلى كونى لا نهائى، يوازيه تدفق لانهائى للأشكال الإبداعية المتجددة التي تبلور جوهر اللغة والذات والواقع والخيال والحضارة والثقافة والإبداع وجميع أشكال العلاقات والأنساق التي تربطنا هوية وتجريبا واستشرافا بالوجود الخلاق من حولنا، الزمن بهذا المفهوم روح كلية حية تسري في كل شيء، وتنفصل عن كل شيء أيضا، إنه العقل والروح والحدس والخيال والاستشراف، إنه الشيء ونقيضه في آن، هو قوة النشاط لا انغلاق النسق، طلاقة التخييل لا نسق الثقافة.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- **فى بلاغة الأشكال الجمالية الوجيزة:**

الأشكال الجمالية الوجيزة جنس أدبى جديد نما فى أحضان الكثافة المعرفية والفلسفية والحضارية المعاصرة،ولايغرين القارىء أن ثمة تنظيرات هائلة فى موروثنا النقدى والبلاغى العربى بخصوص مفهوم الإيجاز والوجازة حتى يقول إن هذا الشكل الجمالى قديم معرق فى الأدب العربى أو الغربى،حقا عرف الأدب العربى : شعره ونثره صورا من بلاغة الإيجاز الكثيفة من نراها منثورة هنا وهناك من خلال أبيات الحكمة المركزة أو الفلسفة النافذة نرى هذا جليا فيما أطلق عليه الناقد الليبى محمد خليفة التليسى (قصيدة البيت الواحد) حتى طابقوا بينها وبين (قصيدة الومضة) الإبيجرام بالمعنى الفلسفى المعاصر وهو لون من ألوان الخداع والاضطراب،فهذه المقطوعات الشعرية والنثرية التراثية القصيرة الكثيفة ربما خدعت القارىء المعاصر حتى ليظن أن بلاغة الشكل الوجيز بضاعة قديمة،ونسى أن بلاغة الإيجاز بالمعنى الجمالى والمعرفى القديم فاشية فى كل البلاغات والأدبيات العالمية تأخذ سمة عصرها وإيقاعه ورؤاه ولاتتعداه،ولكن ثمة فارق فلسفى ومعرفى وتخييلى حاسم وجوهرى بين مانعنيه هنا فى هذا البحث ببلاغة الأشكال الوجيزة المعاصرة ومفهوم الوجازة والإيجاز فى الموروث الأدبى والبلاغى العربى الذى ينصرف فى الغالب إلى التعبير عن عديد المعاني بالقول القليل،فالوجيز هو البليغ أي من بلّغ مقصده من أقصر لطرق وأسرعها وبأقل الألفاظ.

لكن الشكل الوجيز المعاصر شكل أدبى مغاير وربما ينسف كل أشكال الإيجاز البلاغى الموروث نسفا،فلكل عصر أدبه وفلسفته،فالوجازة الشكلية المعاصرة رؤية فلسفية وتخييلية وحضارية قبل أن تكون بنية جمالية لأنها تقوم على فلسفة جمالية مغايرة لمفاهيم: الزمان والمكان واللغة والواقع والعالم والأدب والجمال والخيال،ولاعلاقة لها من وجهة نظرى بكثافة اللفظة وإيجاز المعنى وتركيزه وتعميقه واختزاله وحذفه واختصاره وكلها دلالات تخص الفكر البلاغى الكلاسيكى القائم على الشكل اللفظى الخارجى كما هو معلوم شائع فى تراثنا من خلال مقولة «بيت القصيد»، وهى الذروة التي تكثّف النص وتكّون رحيقه المختوم،أو الكلمة الشعرية المفردة الفذة التى نراها مشحونة بطاقات هائلة يمكن أن تحرك كل المشاعر والأفكار.أما فى النثر فقد أرجع كثير من النقاد الشكل الجمالى الوجيز إلى أصول تراثية قديمة سواء فى التراث الغربى أو العربى كعادتنا فى فكرنا النقدى الذى يغلب عليه آليات العقل الفقهى الذى يقيس الشاهد

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

على الغائب،فأرجعوا هذا الشكل إلى ماكتبه مثلا ابن أبى عون فى كتابه (الأجوبة المسكتة)[٢]. أو ماكتبه أبو منصور الثعالبى فى كتابه (الإعجاز والإيجاز)[٣]،أو ماكتبه إيسوب أحد حكماء اليونان من قصص قصيرة كثيفة يطلقون عليها خطأ ما نُطلق عليه اليوم مُصطلح (القصة القصيرة جداً)،أو ما كتبته الشاعرة الفينيقية «بلتيس» من نصوص شعرية مركزة أطلقوا عليها مصطلح معاصر وهو مصطلح قصيدة «الومضة، الشذرة، التوقيعة». وغير ذلك، وكما ترى فقد انطلت الفروق المعرفية والفلسفية والتخييلية على كثير من النقاد والأدباء فراحوا ينظرون لهذه البلاغات الوجيزة المعاصرة من خلال أدبيات شعرية ونثرية قديمة،وظلوا يتساءلون: هل **الأدب الوجيز إرث أصيل أم خروج عن المألوف؟** غافلين أو متغافلين عن الفروق الفلسفية والمعرفية والتخييلية الجوهرية بين شكلين جماليين أحدهما قديم والآخر معار وكل له فلسفته وبنيته ورؤاه.[٤]

ونظرا إلى إصرار النقاد المعاصرين على اعتبار أن الشكل الجمالى الوجيز نص تراثى قائم على الاختصار والحذف اللفظى فقط استسهله كثير من الكتاب ممن لايفقهون فلسفته الشكليه ومقاصده الدلالية،وبهذه المثابة وقعت الأشكال الوجيزة المعاصرة فى كثير من صور الرفض والاستهزاء والاستخفاف فلم يؤسس النقاد الأصول الفلسفية والجمالية الدقيقة والرصينة لهذه الأشكال حتى لايصيبها الاستسهال الذى جرأ كثير من الكتاب على تسور محرابها الجمالى المقدس دون وعى ورؤية حتى تراءى لكثير منهم أنّ الكتابات الوجيزة سهلة الصناعة والإنشاء. فتراكمت النّصوص بغثّها وسمينها في غياب النقد النظرى الجادّ ما ساعد على الإنتاج الرّديء العاجز عن التشكيل والتوصيل معا وأفضى كلّ ذلك إلى فوضى في المفاهيم والإنتاج. ودور الناقد هنا يكمن في تأصيل المصطلح والنوع والتأسيس لمنظومة نقدية خاصة بهذا الأدب بهويّته الجديدة،حتى نخرج هذه النّصوص العميقة من خانة المجاملات والعلاقات الشخصيّة.لذلك أطلنا فى هذا التنظير حتى نعيد لهذه الأشكال هويتها التشكيلية ورؤيتها الفلسفية حتى لانكون مفصولين عن العصر الذى نعيش فيه.

- **الأشكال الوجيزة أشكال تجريبية :**

علينا أن نسلم بأن الأشكال الجمالية التجريبية الجديدة ليست انعزالية أو جزئية أو حتى تركيبية جدلية بالمعنى التركيبى المغلق كما هو شائع فى الأدبيات الشعرية والبلاغية العربية الموروثة،لكنها أشكال تجريبية تخييلية بينية مطلقة التوليدات والإحالات والتصاديات والتداخلات والتراميات والتطابقات والمفارقات،(فلم يُعدّ في أدب الحداثة

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ولاءً لنوعٍ أو لجنسٍ، بل تتحقق الكينونة الإبداعية بعلاقةٍ حواريّةٍ بين الأنواع الأدبيّة وغير الأدبيّة، فلا يوجد داخل نصي، بل هنالك خارج نصي ينهل من الأجناس والأنواع بالتناص الأجناسي، وهو الأمر الذي يُوسّعُ مفهوم النص فيغدو بنية دلالية نتنج في بنية مُنتجة تُحدّد زمنيًّا بأنها سابقةٌ على النص يضمنها الكاتب في نصه مُحدثًا تفاعلًا بين البنيتين (٥).

وفى ضوء هذا صارت شعرية الأشكال الوجيزة تتكامل بطاقة اللاتكامل المفتوح على اللغة والتاريخ والحياة والإنسانية المشتركة،حيث تكون الحقيقة الجمالية أفقا تخييليا بينيا مفتوحا لتوليد المفارقات تلو المفارقات،ولعل هذا يستدعى بالضرورة رؤية الطرق المعرفية والجمالية عبر منظورات وطرائق احتمالية تعددية تدرجية حيث لا تقع اللغة أمام الواقع، بل يقع الواقع والتاريخ والوجود أمام اللغة والنظرية والنسق،وهذا يؤسس لبلاغات التعدد والتشذير الإنسانى اللامنتهى إلى جوار بلاغات التركيب الجدلى الموضوعى،وهو لايعنى الهدم والتدمير المجانى ـ كما يدعى بعض متوهمى الحداثة بل يعنى التوسيع المفهومى،والتحقيل المعرفى،والتكثيف الدلالى،والتخصيب التخييلى فى الفنون،ونفى التعميم والتجريد والإطلاق والوضعية المنطقية فى النظريات النقدية بوصفها آليات شمولية تسلطية تحصر الواقع والكائن واللغة والأشكال والوقائع النصية الجديدة وتقصى الاختلاف الإنسانى المذهل الثاوى فى مختلف الثقافات وعديد الهويات.ومن هنا كانت حاجتنا الجمالية ملحة الآن أكثر من أى وقت مضى إلى تأسيس البلاغات البينية التعددية التى تتكامل بطاقة اللاتكامل المفتوح على التاريخ والواقع والعالم،وهى بلاغات بينية تعددية شذرية لاتنفى الهوية والعلة، والحد، والقصد والمعنى لكنها تفتح لغتنا وأخيلتنا من جديد على حيوية التواريخ وتعددية الممكن ولانهائية المحتمل،واستشرافية التجريبى.

إن المبدع شخصية تتمتع بحساسية دينامية حادة تجاه ذاته وواقعه والعالم من حوله،شخصية قلقة متوترة حالمة لاتهدأ ولايقر لها قرار حتى ترى العالم كما يجب أن يكون،كل مبدع يمتلك حواسا وخيالا فريدا قادر على التقاط الشروخ والفجوات الكامنة غير المنظورة فى النسق الثقافى والجمالى والاجتماعى المحيط به،لذلك يحاول دائما بالفن والإبداع والابتكار أن يسيطر على الفوضى والتناقض بإستعادته التوازن والانسجام من خلال التشكيل الفنى الجسور القادر على اختراق بنى اللغة والذات والواقع والثقافة لذلك

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كنا نرى أن القصة الشاعرة تتخلق هامسة فوارة من رحم نواوير الوجود المتفلتة بطبعها عن الإمساك بها،حيث لا يتعرف العالم والواقع على شكله الجمالي والمعرفي المناسب إلا من خلال شكله الحسي اليومي في ذاته ولذاته ، فلا معرفة جمالية مسبقة أو سائدة يتعرف فيها الواقع الجمالى على نفسه مهما كانت دقة ورحابة هذه الجماليات فلايتعرف الواقع على نفسه إلا بنفسه،ولايعرف الحياة إلا الحياة،وأخشى أن يفهم من هذا أن الأشكال الوجيزة ضد المواريث الجمالية والمعرفية المسبقة أو حتى اللاحقة،بل كل ماقصدته أنها لاتتركب مما نتصوره قبلا بل هي تمتلك الاقتدار التشكيلي القادر على الجمع الجدلي البينى المفتوح بين بنية الشكل ورحابة اللاشكل معا والطلوع من عمق هذا الحراك الجمالي والمعرفي الموار في العيني والشيئي واليومي المركوم بين أقاصي حدود الشكل،وأقاصى حدود اللاشكل علها تخلق وتقتنص ما هو بطبيعته متأبيا على الخلق والتشكل والعابر دوما فى المجهول المعرفى والجمالى عبر ممرات لاوعى اللغة ومنسيات الأشكال والنظريات حيث يتشكل التخييل والبناء والإيقاع فى القصة من عذوبة الغبطة بأشياء الوجود،وطرافة حسيات الواقع فيذوب التعقل والتمنهج وصلابة المواريث والأشكال في أتون الجنون السردى الشعرى المفكك لكل صلابة معرفية تسد أفق التمددات المعرفية والانتشارات الجمالية والشكلية اللانهائية للإبداع.

وبهذه المثابة كان عصرنا المعرفى الجديد يحتاج إلى جماليات وبلاغات جديدة تتجاوز معظم التصورات الجمالية والمعرفية والبلاغية الثنائية السائدة إلى بلاغات جمالية كثيفة جديدة تبتكر فضاءا ثقافيا بينيا مشتركا يتنازل فيه كل حد جمالى عن جزء من معجمه الثقافى والجمالى الخاص به ليتداخل مع باقى الحدود والأنواع والأشكال الجمالية الأخرى لتتخلق هذه الشراكات (الجماليات التداخلية التشعبية) بما يجعلنا نتخلى عن ادعاء كونية الحد أو مركزية النظرية وانعزالية الشكل إلى تعددية وتداخل الأشكال ومنظومية الوعى وتشعبية المنظور.ولعل التحام التخييل السردى بالتخييل الشعرى بالتخييل الفلسفى التأملى بالتخييل الحوارى يخلق هذه الحالة التشكيلية البينية التى نطلق عليها هنا مصطلح (الخيال الشذرى البينى الوجيز)،كأن المفردت والجمل والإيقاعات والمجازات والرؤى والتصورات عوالم ترميزية بينية معقدة متناهية الكثافة الإيحائية والوجازة التركيبية والتقطير التشكيلى بما يجعلها قادرة على الترامى إلى عوالم تصويرية وإيحائية متعددة متباينة لكنها مشتركة متداخلة.فقيمة الوجيز ليست في القصر ولا فى الطول،بل في طاقاته المتنوّعة في الكشف والمعرفة والتأثير. والوجازة الحقيقية تشترط

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الإيجاز والتكثيف الدّالّ والتلميح دون إلغاز،وتشظّي البنية دون فوضى، الإدهاش بالمفارقة والقفل الصّادم، ومنه تتفجّر عيون من المعاني والدلالات التي يمكن أن تحيلك إلى مباحث عديدة وتأويلات لا حدّ لها.فالوجازة تشترط حالة معرفيّة مُكثّفة وقوّة فكريّة وفلسفيّة تطبع المجتمع وآدابه.

إن حقيقة الفن أعلى من تصورات النظرية،والفن الأصيل الجاد قادر على تكييف النظرية النقدية أكثر مما تكيفه هذه الأخيرة، فاللغة إذ تستجيب لحرية الجمال والخيال تتفوق على طبيعتها السابقة، مستزيدة من الحياة النابضة الخلاقة، ومن هنا كان الفن الأصيل الجاد سبيلا من سبل الحرية،ولقد تأسست جماليات الأشكال الوجيزة فيما رأينا فى هذا البحث وفق منطق الرحابة والتعقيد والتداخل،وابتكار ما اقترحناه هنا فى مصطلحنا الجديد(الخيال الشذرى البينى الوجيز) لمحاولة تأسيس مفهوم جديد للأدبيات الوجيزة الجديدة المعاصرة،وهو خيال يقوم على فلسفة خاصة لمفاهيم اللغة والزمان والمكان والواقع والعالم،فالخيال البينى الشذرى يقوم على فلسفة الفجوات والفراغات لأنه يقود كتابة تقوم على القصر المفرط والتقطع،ولعل مفاهيم مثل: الوجازة والقصر والكثافة تمثل وتجسد رؤية للعالم أكثر منها شكلا جماليا يخص التشكيل فقط بل هى أيضا مسألة توصيل ومضمون ورؤيا (تقوم على فلسفة خاصة للزمان،وفلسفة خاصة للكائن،وممارسة خاصة للكتابة،ومفهوما معينا للنص،ونظرية معينة عن المؤلف)[٦]

وكما نرى فإن فلسفة الشكل الجمالى الوجيز التى نطرحها فى هذا البحث تختلف كل الاختلاف عما اعتاد عليه كثير من نقادنا وكتابنا فى تحديد هوية وماهية ووظيفة الشكل الوجيز.فمن جهة زمنية النص الشذرى الوجيز نراها زمنية دوامية كثيفة لاينفصل فيها حاضر متحرك الماضى عن حاضر الحاضر وحاضر المستقبل دفعة واحدة،ومن هنا فالزمنية الجمالية والتخييلية الكثيفة هنا تبتعد عن أى مفهوم أحادى أو تركيبى كما فى الكتابة الوجيزة التراثية،بل هى زمنية التعدد والانفتاح والانتشار والتنبؤ والانفصال دفعة واحدة.كما أن مفهوم الخطاب النصى الشذرى الوجيز مفهوم يقوم على مبدأ (التصدع الخلاق) لو صح التعبير لأنها كتابة تقوم على صدع المتسق وفتق المتصل لتفتح باب السؤال فى وجه الجواب، فهى كتابة لاشأن لها بالانسجام وبلوغ معنى نهائى محدد بل تفتح القارىء واللغة والزمان والمكان والواقع على التشتت والنمو والتحليل اللانهائى.

ومن ثمة فالشكل الشذرى الوجيز لايقوم على المطابقة بقدر مايقوم على المفارقة

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

فهو لايبحث عن وحدة واتساق وانسجام بل يبحث عن التوتر والقلق والترميز والغموض والإضمار والكثافة والدراما والتأزم والسرعة والخفة والتفكير،ومن ثمة يشعل خطاب النص الوجيز ثقافة الابتكار ضد ثقافة الاستفسار،كما يزرع عمق الانفصال فى بطن الاتصال،والانفصال هنا لايعنى تمزيق النص وتقطيعه وتفتيته بل يعنى خلق فجوات ترميزية كثيفة ومفارقات رؤيوية عميقة داخل النص بما يستدعى خيال القارىء بالضرورة ليتلمس هذا الشتات الجمالى اللانهائى داخل بنية النص. ومن ثمة يقوم النص الشذرى الوجيز على فلسفة خاصة للغة ترى اللغة حجابا دلاليا وتشكيليا كثيفا كما ترى الإنسان حقلا متنوعا مفتوحا على الحلم والواقع والخيال والاحتمال فلايرتد أبدا إلى تعميم أو تجريد أو شفافية.وبالتالى ينتقل النص من السكون الجمالى والدلالى إلى الحركة التأويلية اللانهائية.فالنص هنا حركة لاسكون،هجرة لا مكوث،تعددا لا واحدية،اختلافا متكررا لا اتساقا متطابقا.النص عبارة عن بندول إنتاجى لايتوقف وخذروف تخييلى لايقر.ولعل هذا ما كان يعنيه نيتشة بقوله فى الكتابة الشذرية الفلسفية العميقة (إن مرماى أن أقول فى عشر جمل مايقوله غيرى فى كتاب أو مالايقوله فى كتاب بأكمله).[٧]

وبهذه المثابة الجمالية والمعرفية انتقل الشكل الجمالى الوجيز من فكرة العلاقات المجازية الثنائية الخطية والتعاقبية إلى مفهوم العلاقات التخييلية والمعرفية الشبكية التعددية والكوكبية،مستبدلين فكرة العلاقة، بفكرة النسق، وفكرة الحد الجمالى الواحد للنص، بفكرة البناء التشعبى البينى المتعدد القادر على رصد خيال الحركة والصورة والصوت والمادة والسرعة فى النص دفعة واحدة،وما نتج جراء ذلك كله من تغيير الأنموذج الجمالى من مفاهيم التسلسل والتعاقب التخييلى فى رصد علاقة النص بتقاليده الجمالية الموروثة والمعاصرة معا إلى الأنموذج الجمالى الشذرى البينى التعددى القائم على التداخل والتشعيب والتشذير،والتزامن والتصادى الجمالى،بما يحدث معه تغييرا جذريا كيفيا فى مفهوم العلاقات المجازية فى بنية الخيال نفسه من جهة، ومفهوم علاقة القارىء بالنص من جهة ثانية.[٨].

وبهذه المثابة علينا أن نسلم بأن الأشكال الجمالية الوجيزة المعاصرة أشكال تجريبية تخييلية بينية تقع على التخوم البينية لأشكال الفنون لذلك هى مطلقة التوليدات والإحالات والتصاديات والتداخلات والتراميات والتطابقات والمفارقات،والحقائق الجمالية فيها تتكامل بطاقة اللاتكامل المفتوح على اللغة والتاريخ والحياة والإنسانية المشتركة،حيث تكون الحقيقة أفقا جماليا بينيا مفتوحا لتوليد المفارقات تلو المفارقات،ولعل هذا يستدعى

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بالضرورة رؤية الطرق المعرفية والجمالية عبر منظورات وطرائق احتمالية تعددية تدرجية حيث لا تقع اللغة أمام الواقع، بل يقع الواقع والتاريخ والوجود أمام اللغة والنظرية والنسق،وهذا يؤسس لبلاغات التعدد والتشذير الإنسانى اللامنتهى إلى جوار بلاغات التركيب الجدلى الموضوعى،وهو لايعنى الهدم والتدمير المجانى ـ كما يدعى بعض متوهمى الحداثة بل يعنى التوسيع المفهومى،والتحقيل المعرفى،والتكثيف الدلالى،والتخصيب التخييلى فى الفنون،ونفى التعميم والتجريد والإطلاق والوضعية المنطقية فى النظريات النقدية بوصفها آليات شمولية تسلطية تحصر الواقع والكائن واللغة والأشكال والوقائع النصية الجديدة وتقصى الاختلاف الإنسانى المذهل الثاوى فى مختلف الثقافات وعديد الهويات.ومن هنا كانت حاجتنا الجمالية ملحة الآن أكثر من أى وقت مضى إلى تأسيس البلاغات البينية التعددية التى تتكامل بطاقة اللاتكامل المفتوح على التاريخ والواقع والعالم،وهى بلاغات بينية تعددية شذرية تنفى الهوية والعلة، والحد، والقصد والمعنى لكنها تفتح لغتنا وأخيلتنا من جديد على حيوية التواريخ وتعددية الهوايات الجمالية،ولانهائية الحد،واستشرافية القصد التجريبى.

- **الأشكال الجمالية الوجيزة والخيالات البينية:**

إن كل بويطيقا تشكيلية جديدة هى وليدة رؤية فلسفية جديدة للعالم كما قلنا آنفا، والشكل الجمالى الشذرى الوجيز وليد العصر الرقمى التكنولوجى الرمزى الكثيف وهو عصر معرفى شبكى تشعبى قائم على البينية العلمية والجمالية والتعدد والتداخل والانتشار مما أدى إلى خلق مانطلق عليها هنا (الأخيلة البينية المنظومية التشعبية)،القرين الجمالى لعصر يرى العالم واللغة والجمال والخيال والواقع من خلال عوالم بينية تعددية متداخلة كثيفة مقطرة،لقد انتهى عصر العناصر الجمالية الجدلية المركبة وابتدى عصر الأنظمة المعرفية والتخييلية الشبكية المعقدة،وقد أدى كل هذا إلى أن تتخلق أشكال جمالية ومعرفية جديدة أقرب إلى الثورة والتجديد والتجريب. وتقع على رأس هذه الأشكال الأشكال الوجيزة .لذلك كنا نراها (فن تخوم) لا (فن حدود)،وأقصد بفن التخوم: أن شعريتها تقع على التخوم التخييلية والمعرفية البينية القصوى بين أجناس جمالية متعددة متعارضة وتتوالد شعريتها من منطق الفجوات بين كل هذه الحدود الجناسية المتباينة،فهى أشبه بكرنفال جمالى شبكى تعددى يموج بالصور والدراما

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

والإيقاع والتخييل والتعقيد والتشابك والغموض والاستشراف.إنها فن التكثيف الرامز المومض الذى يلائم سرعة العصر وكثافته وغنائيته ودراميته معا.

ومن ثمة تمتعت الأشكال الجمالية الوجيزة المعاصرة ببنية تشكيلية بينية غير مركزية من الممكن أن نطلق عليها هنا (الجماليات الشذرية البينية الكثيفة) وهى جماليات مفرطة تتمتع بسعة تشكيلية بينية هائلة تتجاوز جميع ثنائيات الأشكال الجمالية المتعارضة حدا ونوعا وجنسا في فكرنا الجمالى والنقدي.وفى هذا السياق الجمالى والمعرفى الجديد تتجاوز جماليات الأشكال الوجيزة التصور التقليدى للخيال ناقلة حده الجمالى والمعرفى من التركيز على العناصر الجزئية داخل المنظومة الجمالية الواحدة، إلى فكرة التداخلات الجمالية والمعرفية المنظومية المتآذرة التى تربط بين أنظمة جمالية ومعرفية متعددة متباينة متعارضة متداخلة،عبر سياقات جمالية نوعية جديدة، وهذا التجادل التركيبى البينى للأنظمة المعرفية والجمالية المتباينة، نقلت معها حدود الخيال من فكرة العناصر المتفاعلة إلى فكرة العوالم والأنظمة المتداخلة،كما نقلت حدود التصوير الشعرى من فكرة التسلسل التعاقبى فى بنية النظام النصى الواحد أو حتى المتناص، إلى فكرة التزامن التخييلى والجمالى الشذرى الدورى الكثيف بين أنظمة نصية معقدة ومتباينة،وانتفت السببية والمنطقية البنائية من بنية النص ودورانها حول مفهوم الوحدة العضوية،أو حتى العضوية البولوفينية،وحلت محلها ما نطلق عليها هنا (البنائية البينية الدورية الشذرية) التى ترى السبب والنتيجة متداخلين متجادلين فى وقت واحد وفى مكان واحد بما ينفى ثنائيتهما وانفصالهما،وينفى أيضا فكرة التسلسل المنطقى التعاقبى بينهما،ويسمح بخلق مراكز جمالية شذرية تعددية متباينة متداخلة تحيط بالعالم من كل الجهات،بما ينفى فكرة المركز الجمالى الواحد.

ومن هنا فقد نقلت الأشكال الجمالية الوجيزة بنية الخيال الشعرى من الاتساقية إلى التشذيرية ، ومن العضوية النامية إلى الشذرية المفتوحة،ومن التعاقبية البنائية العضوية إلى التزامنية البينية المنظومية، ومن التفاعل التجاورى التراكمى، إلى التداخل المنظومى الكيفى، مفيدة من تصورات جمالية حداثية معاصرة مثل: فكرة اللاتمركز والشبكة التفاضلية لدى جاك دريدا،ومن فكرة تعددية الأصوات واللغات لدى ميخائيل باختين، ومن فكرة النص الكتابى ونص الغبطة واللذة لدى رولان بارت،والنص المفتوح لدى إمبرتو إيكو، كما أفادت من التقنيات التشكيلية والبنائية المتعددة فى الخطاب الشعرى والسردى المعاصر بما ترامت إليه من آفاق التشابه والتضاد، التعدد والتداخل، المعنى

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

واللامعنى،الصوت والصمت،معيدة تركيب وتنظيم ما جد على النص القصصى الشعري من تقنيات أسلوبيه متعددة كاللبس والغموض، وأسلوب التناقض الظاهري، والانزياح، والتناص، المساحات البيضاء، إلغاء أدوات الربط، وخلق شعرية الحالة، التركيب التصويري، والصور المتراسلة،وخلق مفهوم الفجوة، وتغير أفق التوقع والانتظار، التكثيف والتبئير، تداعيات الحلم، تثبيت الدال وتعويم الدلالة،الترميز والأسطرة، أسلوبية الموقف،وأسلوبية المقام،تداخل المعقول واللامعقول،مما أدخلنا فى النص البينى التشذرى الدينامى الكلى ولقد كان على الناقد الجاد أن يتخلى عن جميع قناعاته الثقافية والجمالية والمعرفية المسبقة حتى يستطيع الاقتراب المنهجى الخلاق من النص.

- **نماذج تطبيقية مختارة:**

سوف أخصص هذه الوحدة من البحث للمعالجة النقدية التطبيقية،وكان بودى لو توقفت أمام نماذج عديدة من كافة أشكال الفنون الوجيزة المعاصرة كالقصة القصيرة جدا،والقصة الومضة،والقصة المشهد، وقصيدة الهايكو العربية،والقصيدة الوامضة،والسيرة الذاتية النقدية المختزلة حتى أختبر صحة الفرضيات التخييلية والمعرفية التى طرحتها فى الجانب التنظيرى السابق،ولكن نظرا لاتساع المجال المعرفى والجمالى لهذه الأشكال فى المشهد الأدبى العربى المعاصر فسوف أقتصر فى التطبيق النقدى هنا على بعض النصوص من السيرة الذاتية وقد اخترتها من سيرة نجيب محفوظ (أصداء السيرة الذاتية).

أصداء السيرة : أصداء الوجود

اقتفاء الصدى وارتحالات المعنى

- **جماليات العنوان فى الشكل السيرى الوجيز**

لعل فكرة الصدى التى عنون بها نجيب محفوظ سيرته الذاتية تقع فى العمق الجمالى والدلالى من فنية الشكل الجمالى الوجيز،فمعظم هذه النصوص تتمتع بالتقشف اللغوى والورع التركيبى والتقطير التشكيلى والتكثيف الدلالى فهى نصوص بالغة الإحكام والسيطرة والتكثيف تطل على التعدد والتداخل والانفتاح على اللانهائى.ولعل كل ذلك أدخل فى فكرة الصدى لا الصوت،حيث يتيح الصدى مساحة أرحب وأعمق تتنادى فيما وراء حدود الصوت،فكلما اتجهنا صوب الصدى نستطلع مساره ونستشرف مداره تضيع

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

منا الجهة وتنبهم المسافة وتغمض الرؤى وتغيم الآفاق حتى لتنساح اللغة والأخيلة فى كل الجهات والرؤى،إنها الأصداء المزدحمة بالرؤى والأخيلة والذكريات والأحلام والممكن والمحتمل،وكلما توجهنا صوب دلالات الصدى انفتحت علينا مجهولات المدى،هكذا الأصداء كما يقول الدكتور يحى الرخاوى(تخفى أصلها أكثر مما تظهره،فهى تدل عليه وفى الوقت نفسه تبعدك عن حقيقته،لكنها تسمح بخيال أوسع ومعرفة أشمل.)[٩].

ولو رحنا نتتبع دلالات الصدى فى المعجم العربى وجدنا المادة اللغوية للصدى تتحرك فى مدى دلالى واسع فهى تعنى فيما تعنى كما يقول الزبيدى فى:(تاج العروس من جواهر القاموس): طائر الليل يطير بالليل ويقفز قفزانا،وطائر يخرج من رأس المقتول إذا بلى،والمتصدى الذى يرفع رأسه وصدره يتصدى للشىء.والصدى: العطش وقيل شدة العطش،ومايردده الجبل على المصوت فيه.والعالم بمصلحة المال،والصدى: حشوة الرأس ويقال لها الهامة،والرجل اللطيف،والجسد الآدمى بعد موته فكأنه رثاء الجسد لذاته قبل موته الفعلى).[١٠]

إن معظم الدلالات اللغوية الكامنة فى نواة الصدى تتصادى من قريب أو بعيد بالعوالم السردية الرمزية فى الأصداء التى لاتكف عن التوتر بين المرئى واللامرئى،الحضور والغياب،فهل كانت روح الإبداع لدى محفوظ قد أحدست كل هذه الدلالات اللغوية ومابعد اللغوية بضربة خيال خلاق؟ بالتأكيد هذا ما حدث.ففى معظم نصوصه تبدو الدلالات السردية منتثرات متفرقات ملأى بالتصدع والتشذر والترميز لكنها عبر خيالات الصدى متصاديات متداخلات متجادلات ترصدها بؤرة الخيال السردى عبر غابة أصداء دلالية شاسعة تعج بارتحالات الرؤى وتناسل الدلالات تتنازع فيه الروح الإنسانية قلقها الوجودى بين تطوحات الفكر والرؤى،وعطش أشواقها للوجود فهى تقفز قفزا فى مدى وديان الصدى،مصوتة فى مجاهليه البعيدة والقريبة علها تظفر بوجودها الإنسانى الحقيقى؟. كل هذه الدلالات اللغوية التى أتى عليها العقل اللغوى للقاموس وجاءت مبعثرة متفرقة عبر سياقات لغوية متعددة مترامية متباينة يحدسها الخيال الإبداعى لدى محفوظ عبر جميع نصوص سيرته فى وثبة باذخة من وثبات الخيال.

يتقلب النص السيرى المحفوظى بين الصوت والصدى،مستحضرا ما غاب من خلال ما هو حاضر،فدائما نجد فى الأصداء هذا الانفتاح التخييلى اللانهائى من خلال

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ترددات رموز الصدى وانفتاحها على الواقع والممكن والمحتمل والحلم والشك والحياة والموت،يظل صوت الحاضر مدويا،بينما الصدى يظل أصداء مشعة ملونة مهومة فى الفراغ الغامض البعيد،شمس تتجلى متفجرة بالنور المضاعف إذ ترتد على ذاتها ظلا منيرا فى الخفاء الغريب،تتجلى وتتخفى،حاضرة غائبة,واقعية وخيالية. كأنى بصدى الدلالات فى السيرة تقول ما يتأبى بطبعه على القول. فالنص فى أصداء السيرة بحران رؤى،ومس تصورات فوارة بالرموز والغموض والترميز والتعدد لايقر لها قرار،تشتعل الكلمات فوارة فى كأس النص فيصاعد حبب الصور الملتهبة من قاعها الملتهب فتتفلت الكلمات عن حدودها المعهودة وتترامى اللغة إلى ماورائها حتى تبلغ حدها الأقصى من الدلالة مستشرفة ضفاف المجهول والرموز والأسرار،شذرات استعارية تمزق حدود الدلالة،وتشذرات زمنية تتقحم غيابات اللازمن،وصور تترامى تستجلب المجهول حتى لتشرأب رقاب الكلمات تستشف ماوراء الكلم حيث يحل جسد المجهول المتخفى فى جسد المعلوم،فيمطر نثارا من قمم المطلق البارد فى لعلعة النسبى اللعوب.وإليك قارئى الكريم نص من هذه النصوص البللورية المشعة.

نص (اللؤلؤة)

(جاءنى شخص فى المنام ومد لى يده يعلبة من العاج قائلا: تقبل الهدية.ولما صحوت وجدت العلبة على الوسادة،فتحتها ذاهلا فوجدت لؤلؤة فى حجم البندقة،بين الحين والحين أعرضها على صديق أو خبير وأسأله:ما رأيك فى هذه اللؤلؤة الفريدة؟ فيهز الرجل رأسه ويقول ضاحكا: أى لؤلؤة؟ العلبة فارغة).وأتعجب من إنكار الواقع الماثل لعينى،ولم أجد حتى الساعة من يصدقنى. ولكن اليأس لم يعرف سبيله إلى قلبى.).[١١]

فى هذا النص يترامى الروح الإنسانى عبر أصداء رمزية لاتمناهية عمادها أنوار اللؤلؤة الروحية وماتوحى به من بريق ولمعان من جهة،وخفاء وغموض من جهة أخرى حيث تكمن اللؤلؤة دائما فى أصدافها الملتفة على نفسها التفاف الغابة على الصدى الهائم فى أرجائها فتومض دلالات اللؤلؤة من أفق غامض بعيد تبين ولاتكاد تبين،تتراءى بين الحلم واليقظة،الواقع والخيال،يرى الراوى فى حلمه اللؤلؤة بينما لايراها الآخرون فى الواقع من حوله،ولعل هذا يومىء إلى أن من يحلم هو وحده الذى يرى،بينما الآخرون

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

من حوله لايرون مايراه لأنهم لايرون سوى الظاهر أو ما تيقنوا من انتهائه،أما الذى لازال طور حلم التخلق والتكون فلا يراه سوى الحالمون،وإذا رأوه رأوه ببصائرهم وإذا أذاعوا على الناس مارأوه أنكر الناس عليهم ما رأوه،وإذا قال الحالم للناس انتشيت قالوا كيف؟ وخاسر من ترك يقين ماعنده إلى وهم ما عند الناس،ولازالت الأصداء تتردد فى أرواحنا وخيالاتنا فكل من حولنا لايرون اللؤلؤ المكنون فى أرواحنا وأخيلتنا ولغتنا بل يروننا فقط من جهة أبصارهم ويظل الحالمون حيارى بين الناس لأنهم يرون بعيون العاشقين فيبصرون ما لايبصره الآخرون،وتعنف الحيرة ويشتد الظمأ وياويل من صدق وهم الناس وترك يقين ماعنده!!.

هذا مايريد نجيب محفوظ أن يقوله فى النص،وربما أراد غير ذلك، أو أراد أعمق وأرحب من ذلك،فربما رأى أن كل منا يمتلك لؤلؤته المكنوزة فى أصداف وجوده ولكنه للأسف الناس مشغولة بماعند الآخرين لا بما عندهم فهم يسألون الخبراء من خارج صناديق أحلامهم: هل ترون ما نحن فيه فيجيبون أن لا! بينما الروح تقول أن نعم. فكيف نوفق بين الوعد الكامن المشع داخل أرواحنا وبين رؤية الناس لنا من خارجنا. يقول نجيب محفوظ التوفيق مستحيل فكل واحد بعيد عنا (يهز الرجل رأسه ويقول ضاحكا: أى لؤلؤة فالعلبة فارغة). كيف يتسنى لنا الجمع فى لغة النص بين ما أطلق عليه محفوظ داخل أراوحنا (اللؤلؤة الفريدة) وبين (العلبة الفارغة) لابد لنا أن نتعجب كما تعجب محفوظ (وأتعجب من إنكار الواقع الماثل لعينى.. ولم أجد حتى الساعة من يصدقنى!!) والله لن يصدقك أحد سوى نفسك،خاسر من صدق الناس ولم يصدق نفسه،خاسر من باع نفسه وكسب العام كله،لعلنى أسمع الان فى ذاكرتى بيت شعر يتهادى من بعيد للصوفى العربى يقول فيه:

وإنى لأرجو الله حتى كأننى أرى بجميع الظن ما الله صانع

لكن محفوظا هنا ليس صوفيا غارقا فى روحانية غائبة عن لعاعات الدنيا بل هو يمارس صوفيته فى أعماق دنيوية الدنيا،وهنا الابتكار الخلاق إذ عليك أن تتصوف أولا مع ذاتك ونفسك لترى لؤلؤ روحك جليا ساطعا حتى تتمكن بعد ذلك من رؤية لؤلؤ الله الساطع فى روحك!.

ثم تترامى الأصداء تعرج بنا إلى أفق جوانى آخر أشد غرابة وإدهاشا إذ كيف نعقلن ونمنطق فى حياتنا ماهو بطبيعته فوق العقل والمنطق؟. كيف نصدق مايعتلج فى أرواحنا مغمغما فى الخفاء ولانمتلك أى يقين عليه حتى الآن؟ وياويلنا من جمجمة أرواحنا

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

باشواقنا وأحلامنا إذ لم نصدقها!! إن مصدر إبداعنا لنفسنا ووجودنا متوقف على مدى ثقتنا فى أحلامنا وماتبثه إلينا من رسائل غامضة،ولازالت الأصداء تترامى برموزها اللامتناهية من أفق إلى أفق حيث الوجود البشرى بتعقيداته المذهلة لايحمه مايعلمه بل يحكمه مايجهله فمساحات المجهول أوسع من مساحات المعلوم،بل نحن نتعلم من الغامض المجهول أكثر مما نتعلم من الواضح الظاهر،فاالإبداع هو البحث الحفر المتصل فى أدغال المجهول حتى نمسك به ونعقلنه فى منطق المعلوم،ثم يفتحنا هذا المعلوم الجزئى مرة أخرى على مجهول أوسع وهكذا نظل نكدح من مجهول إلى معلوم ثم من معلوم إلى مجهول جديد فى دائرة لاتنتهى،ولعل المنطقة الغامضة الممضة المرهقة التى تمن فيما بين المجهول والمعلوم هى مايتكىء عليها نجيب محفوظ هنا فهى منطقة بينية برزخية غامضة لكنها مومضة تنبض كوعد وتتلامح كإمكان هى ظن سارح فى أخيلتنا وأرواحنا لكنها تلح على الروح إلحاحا عميقا محيرا.إذا صدقنا أنفسنا كذبنا الناس،وإن كذبنا أنفسنا سخر منا الناس!! فمن أين السبيل وكيف المفر والمستقر فى حياة أشبه بالحلم لكنها أعنف من كل يقين؟! كل إنسان فينا يملك هذه اللؤلؤة الساطعة بين جنبات كيانه ومنا من يصدقها عاكفا على جلائها واجتلائها حتى تشرق بها حياته. ومنا من يهملها ويكذبها حتى تصدأ وتتلاشى ويتلاشى معها معنى حياته. فهل نظرت معى قارئى الكريم كيف عجت آفاق هذه الشذرة القصصية البارعة بأصداء الرموز وارتحالات الدلالات، وهجرة الخيالات حتى لامقر ولامستقر بل حياة نابضة حية لاتنتهى غرائبها ولاتفنى عجائبها؟!.

كلمات حبلى مغداقة،وصور مرهفة معطاءة تضوع بالدلالات السرية والنغم الخفى المموسق كأنها تستحضر موسيقى من السر العتيد.مقدرة تشكيلية فذة على تأهيل الكلمات العادية بوشى الخفاء النضير حتى تتفجر دلالاته الحسية والمعنوية مجلوة كشمس صيف لعوب.فتكسب كل كائنات الصور والكلمات والتراكيب ظلالا وارفة ورموزا مورقة وبعدا ثالثا من مسوس غيوب الحياة التى تنسكب فى نفسك فتتكسر كل الحواجز بينك وبين نفسك أولا ثم بينك وبين الكاتب ثانيا ثم بينك وبين جميع كائنات الوجود ومابعد الوجود أخيرا.ثم يعاود الصدى دورته من جديد.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المصادر والمراجع:

١- إدغار موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب،ترجمة أحمد القصوار ومنير الحجوجى،دار توبقال، المغرب،ط١، ٢٠٠٤.ص٥٧.وانظر فى ذلك أيضا د. عبد السلام بن عبد العالى،الكتابة بيدين،دار توبقال، المغرب،ط١ ،٢٠٠٩.ص٣٣، ٥٠.

٢- الأجوبة المسكتة،لابن أبى عون،دراسة وتحقيق الدكتورة مى أحمد يوسف، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،القاهرة،١٩٩٦.

٣- (الإعجاز والإيجاز)،تحقيق إبراهيم صالح،دار البشائر،دمشق،٢٠٠٠.

٤- انظر فى هذا المجال:د جميل بن علي، الأجناس الوجيزة في النّثر العربي القديم، منشورات كلية الآداب سوسة، ٢٠١٣. وانظر أيضا:أحمد الحذيري :التّمييز بين المثل والحكمة، حوليّات الجامعة التونسيّة، العدد ٣١، سنة ١٩٩٠.وانظر، عبد الله البهلول، الوصايا الأدبيّة في القرن الرّابع هجريّا، مقاربة أسلوبيّة حجاجيّة، ط ١، مؤسّسة الانتشار العربي، دار محمد علي الحامّي، 1120، ص ٣٥٧.
وقد تعدّدت التّسميات التي أطلقها النّقاد العرب خاصّة على الوجيز. ومن المصطلحات نذكر: القصير والمختزل والاختصار والحذف.،انظر فى ذلك: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني،العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تقديم وشرح صلاح الدين الهوّاري وهدى عودة، ط١،دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٦، ص ٣٩٧.

٥- يقطين، سعيد (د.ت)، انفتاح النص الروائي، د.ن، ص ٦٢

٦- د عبد السلام بن عبد العالى،فى الانفصال،دار توبقال،ط١ ،٢٠٠٨، ص٤٣.

٧- المرجع السابق، ص٤٦. ولعل مفاهيم مثل الخفة والسرعة والتعدد والدقة والغموض تحتاج إلى بسط تنظيرى معمق كان بودنا لو تبحرنا فيه فى هذا البحث ولكن نظرا لضيق المساحة المتاحة لنا سنلفت نظر القارىء بضرورة الرجوع فى هذا بالتفصيل إلى كتاب: إيتالوا كالفينو،ست وصايا للألفية القادمة،ترجمة محمد الأسعد ومراجعة د. زبيدة أشكنانى،سلسلة 'بداعات عالمية،ع ٣٢١ ،ديسمبر ١٩٩٩،المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

٨- د أيمن تعيلب،التخييل المنظومى وشعرية السبيعينيات،رفعت سلام أنموذجا،المؤتمر الدولى الرابع لقسم اللغة العربية،إنتاج المعرفة فى العربية المعاصرة،٢٨ فبراير ٢٠٢٣، ص٢٩

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

٩- د. يحى الرخاوى،أصداء الصداء،تقاسيم على أصداء السيرة الذاتية،المجلس الأعلى للثقافة،ط١ ،٢٠٠٦.والشيء المحير أن الكاتب السفير عبد السميع عمر زين الدين،قد كتب كتابه:(أصداء الأصداء:الآفاق الفكرية فى أصداء السيرة الذاتية لنجيب محفوظ)، بنفس عنوان كتاب الدكتور يحى الرخاوى وقد نشره فى نفس العام الذى نشر فيه الرخاوى كتابه: (الهيئة العامة لقصور الثقافة،سلسلة إصدارات خاصة،٢٠٠٦.) لكن بالرجوع إلى أول كتابة للرخاوى عن سيرة محفوظ وجدتها بتاريخ ١٩٩٤ ،بينما كان تاريخ كتابة عبد السميع زين الدين عام ١٩٩٨,وقد عجبت للتوافق الذى وصل حد التطابق فى التفسير والرؤية بين الناقدين،ولكنى أرجح أن عبد السميع زين الدين قد اعتمد فى قراءته على كتاب الرخاوى بصورة تكاد تكون متطابقة دون أن يشير إليه ولو إشارة واحدة فى كتابه.والأغرب من كل هذا أن يفوز كتاب (أصداء السيرة والفجوات الدلالية) بالجائزة الأولى فى المسابقة الأدبية المركزية بوزارة الثقافة عام ٢٠١١ للباحث ياسر محمود عطية ودراسته كلها مسروقة كلمة كلمة وحرفا حرفا من دراسة عبد السميع زين الدين .

١٠- محمد مرتضى الزبيدى الحسينى،تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق مجموعة من المختصين،وزارة الإرشاد والأنباء،الكويت،المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب،ط ٢٠٠١،ص١٠٠.

١١- نجيب محفوظ،أصداء السيرة الذاتية،مكتبة الأسرة،القاهرة، ٢٠٠٤،ص ٦١ ـ ٦٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898